

أرغم على الانسحاب في معركة باسلة (كانون الثاني ١٩٧٠) . ومن أجل المحافظة على معنويات الجنود الاسرائيليين الذين كانوا يعرفون مهمتهم فسر الاسرائيليون التراجع عن احتلال الجبال بأنه تم بسبب الاحوال الجوية . وكان لا بد لتصاعد العمل الفدائي بهذه الصورة من ان يؤدي الى ردة فعل من الجانب الاسرائيلي تجلت في هجمات الطيران والمدفعية (وبمقدار محدود الكوماندو) على الجهات التي ينطلق منها الفدائيون الفلسطينيين في الضفة ، الشرقية / اربد - وغور الاردن وغور الصافي - والعقبة . وقد ادت هذه الهجمات الى نتيجتين : اولا على الصعيد الشعبي ازداد تلاحم الجماهير الفلسطينية والاردنية في وجه اسرائيل ، فالشخص الذي فقد بيته في الشونة الشمالية واريد والغور واضطر الى النزوح شرقا هربا من المنطقة المحروقة بفعل القصف الاسرائيلي كان لا بد له ان يتحول من مزارع الى مقاتل او نصير للثورة . وثانيا على الصعيد الرسمي تنامت في البلد حساسية بين النظام القائم وحركة المقاومة تجلت في الصدامات التي حصلت بين الجبهتين في ٤/١١/١٩٦٨ و ١٠ شباط ١٩٧٠ و احداث حزيران ١٩٧٠ .

ومهما يكن من امر لقد بدأت مرحلة جديدة من حياة شعبنا ، هذه المرحلة التي بدأت في اليوم الاول من عام ١٩٦٥ وان كانت قد بدأت بشائرها قبل ذلك بقليل مع ائتفاق منظمة التحرير الفلسطينية التي بشرت بالكيان الفلسطيني والتنظيم الشعبي وبنيت جيش التحرير الفلسطيني . ثم قامت حركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » التي نفذت اول عملية عسكرية داخل الارض المحتلة في اليوم الاول من الشهر الاول من عام ١٩٦٥ ثم تلتها وجود تنظيمات فلسطينية اخرى تتخذ أسلوب الحرب الشعبية كحل لا بديل له للقضية الفلسطينية . ومن أولى سمات هذه المرحلة ضياع نغمة الحزن الذليلة التي كانت قاسما مشتركا للادب الشعبي الفلسطيني وحلت محل تلك النغمة الذليلة نغمة القوة والتحرير والثورة حتى النصر .

لقد احس الانسان الفلسطيني بفرحة ما بعدها فرحة وهو يتحسس السلاح بيديه ويمتلكه ثم يصوبه الى صدور مغتصبي ارضه وجلاديه ، هذه الفرحة العارمة بالسلاح جاءت اثر سنوات طويلة من التشوق لحمل السلاح والاستغاثة للحصول عليه . وبذلك انطلقت الاهازيج العفوية تكرس هذه الفرحة القوية :

بايدي كلاشنكوف
وفي قلوب العدا خوف
والثورة علمتني
على اكبر ديكتريوف

حتى الفواجع والمصائب لم تعد تهز الانسان الفلسطيني ولم تعد تثير فيه الحزن بل أصبحت حوافز على التصميم وفرصا للتفاؤل بانتصار الثورة . بالامس كنا نرثي الشهيد ونقول :

والدم جاري مبلل القمصان	شفقه على تخت الرويد ممددا
يصبح دفين بتربة الوهدان	يا حيف سبع الغاب كرم امجدا
وعيونته تلمع كبرق نيسان	شواربه جنح الفراغ مرقددا
تبكي الرجال وتحب النسوان	كل البلاد تبكي عليه وتتجمدا

ولكننا اليوم لا نبكي على الشهيد ، بل يطالب الفنان الشعبي من ام الشهيد ان تغني للبطل الذي دق وجه الارض الفلسطينية بقدميه ونفت النار في صدور المحتلين :

والله ابنك واصل للجنة	يا ام الفدائي دائما غني
ونسول النصر بفلسطيننا	رسي هالثورة ما تخيب ظني